

دوافع نشأة المدن العربية الإسلامية مدينة المهديّة الفاطمية في افريقية إنموذجا 300 – 308هـ

م . د سعد ابراهيم محمد آل مصطفى
جامعة المثنى / كلية التربية الاساسية

الملخص

تعد مدينة المهديّة واحدة من المدن المهمة في بلاد المغرب التي شيدها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ، وكان لهذه المدينة عدد من الدوافع التي ادت بالنتيجة الى بنائها ، والاستيطان فيها ، اذ تعد هذه المدينة مشابهة للمدن العربية الإسلامية الأخرى من حيث دوافع البناء ، اذ كانت دوافع بنائها دوافع سياسية من خلال ابتعاد عبيد الله المهدي عن اعدائه ، ودافع ديني تمثل في اختلاف المذهب وهو الاسماعيلي عن المذهب المالكي الذي كان سائدا في بلاد المغرب ، ثم الدافع الاقتصادي المتمثل بالموقع التجاري المهم للمدينة ، كما ان الموقع الجغرافي والعسكري كان واضحا اذ تمثل في كون المدينة قاعدة عسكرية بعيدة وحصينة . ان هذا التشابه الواضح مع المدن العربية الإسلامية الأخرى من حيث الدوافع ، اختلف من خلال تفرد مدينة المهديّة بموقعها الذي كان على شكل شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات والجهة الرابعة مرتبطة بالساحل.

الكلمات المفتاحية :

Abstract

The city of Mahdia is one of the important cities in the country of Morocco, which was built by the Fatimid Caliph Obeidallah Al-Mahdi. This city had a number of motives that led to its construction and settlement, as this city is similar to other Arab Islamic cities in terms of the motives of construction. Building political motives through the departure of Obeidullah al-Mahdi from his enemies, and a religious defense represented in the difference of the Isma'ili doctrine of the Maliki school, which prevailed in the country of Morocco, and then the economic motive of the important commercial location of the city, as the geographical and military position was clear as it represented In the city being a remote military base and fortified this obvious similarity with other Arab Islamic cities in terms of motives, differed by the uniqueness of the city of Mahdia, which was in the form of a peninsula surrounded by water on three sides and the fourth is linked to the coast

Keywords:

المقدمة

ما لاشك فيه ان المدينة العربية الاسلامية هي مخزن حضاري ، لان جميع الاحداث سياسية كانت أو غير سياسية تدور فيها ، وترتكز حولها ، تلك الاحداث التي عدلت مجرى التاريخ مرات ومرات كما غيرت في خارطة العالم الاسلامي على وجه الخصوص ، وان ابرز ما يميز المدن العربية الاسلامية هو التشابه فيما بينها من حيث دوافع التأسيس وبعض المنشآت العمرانية فيها، وكذلك ان بناء المدن ميزة تميز بها العالم الاسلامي في العصر الوسيط.

ان بزوغ شمس الاسلام ، وانتشارها في ارجاء المعمورة جعل الاسلام يظهر قوة سياسية عالمية ، وكان لذلك أثر واضح في ظهور مدن أصبحت فيما بعد مراكز حضارية عدت ركنا مهما من أركان الدولة. ونحن نخوض في غمار المدينة العربية الاسلامية ارتأينا ان تكون مدينة المهديّة المحور الرئيسي والأنموذج لدراستنا من حيث دوافع البناء.

ان بحثنا الموسوم : (دوافع نشأة المدن العربية الإسلامية مدينة المهديّة الفاطمية في افريقية إنموذجا 300 – 308 هـ) والذي عكفنا على دراسته تكون من محورين رئيسيين كان المحور الاول هو الدوافع العامة لنشأة المدن العربية الاسلامية ممثلة بالدوافع السياسية والاقتصادية والدينية والجغرافية والعسكرية ، اما المحور الثاني تمثل في دوافع نشأة مدينة المهديّة التي كانت لا تختلف عن المدن العربية الاسلامية الاخرى من حيث دوافع البناء ، الا في كونها مدينة تدخل في البحر ولا تتصل باليابسة الا من جهة واحدة على هيئة شبه جزيرة .

ثم خاتمة البحث التي توصلنا من خلالها الى جملة من النتائج كان ابرزها : ان مدينة المهديّة من المدن العربية الاسلامية الاولى التي اتخذت موقعا بحريا ما جعلها تختلف عن باقي المدن العربية الاسلامية بهذا الموقع المتميز كونها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات.

لقد استعنا بعد الله بجملة من المصادر لإنجاز هذا البحث كان منها : البيان المغرب لابن عذاري ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ، وتاريخ ابن خلدون لابن خلدون ، كما عززنا تلك المصادر بمراجع ايضا مثل : سوسيولوجيا الفكر الاسلامي وكتاب الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي وكان كلا الكتابين لمحمود اسماعيل عبد الرازق ، وكتاب المدينة والسلطة بالمغرب لادريس الشنوفي .

الباحث

اولا الدوافع العامة لنشأة المدن العربية الإسلامية

تعددت دوافع نشأة المدن العربية الاسلامية ، فهناك مدن كان دافع انشائها عسكري وقد تمثل ذلك في المدن التي ظهرت أول الأمر معسكرات للجند حتى أصبحت بعد ذلك مدن لعامة الناس ، وكان للفتوحات دور اساسي في تأسيس تلك المدن ، فقد تكونت تجمعات في مناطق معلومة ، اذ كانت في بادى الامر تتمركز بالقرب من قرية صغيرة ، أو حول مصادر المياه ، أو قرب واحات معينة ، وبعد مرور الوقت تشكلت و تكونت منها مدن عامرة ومشهورة ، ظلت أسماؤها خالدة في التاريخ ، فأصبحت هذه المدن مركزاً للفتوحات ومنطلقاً لها فضلا عن الادارة ، فقد كانت كل الجماعات القبلية التي رافقت الجيوش العربية الإسلامية كانت قد تمركزت حول مساحات معينة مركزها منطقة محددة وواضحة المعالم ، سهلية مكشوفة وقابلة للسكن والزراعة ، حتى لو أنها كانت هامشية أو على رابية ، ومثل هذا التشكيل الحضري من وحدات السكنى كان عاملاً مساعداً للبدايات السياسية ، ومنها مدينة القيروان التي بناها القائد عقبة بن نافع الفهري⁽¹⁾ في بلاد المغرب .

وهناك مدن كان دافع انشائها سياسيا او اداريا ، وان من المتعارف عليه ان كل دولة تنشأ لابد أن تتخذ لها مركزاً سياسيا واداريا للحكم ، أو مقراً للخليفة أو الإمبراطور ، أو داراً للامارة ، أو عاصمة للدولة ، حيث امتزج الدافع السياسي في نشأة المدن بالدافع الإداري ، حتى تشكلت المدينة سياسياً بهيئة الوحدة المكانية الإدارية التي أنشأت من أجلها وتناسبت معها ، بل وتطورت بتطورها لاعتبار الرفعة أو السمو على سبيل المثال ، اذ ان الانسان بطبيعته يميل الى التفاخر والتباهي بما يعمل به سواء كان هو ام مريديه ، ومثال ذلك ما انشئ كحاضرة للدويلات المستقلة كمدينة فاس⁽²⁾ ، وكذلك نشأة المدن لتكون ملجأ محصنا للحكام عندما يستشعرون بالخطر كمدينة حجر النسر التي انتقل اليها الادارة بعدما شيدت لتكون حصنا لهم على أثر التدخل الفاطمي والاموي في المغرب⁽³⁾.

ومن المدن ما كان الدافع الديني سببا لوجودها وخير مثال حول هذا الدافع هو ما ذكر في القرآن الكريم حول اتخاذ خليل الله النبي ابراهيم عليه السلام مكانا ومسكنا له ولذريته في موضع مقبر بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام لإقامة الصلاة والعبادة ، ثم دعا من الله أن يكون

موطنا عامرا بالناس ، وأن يكون مهوى للأفئدة وبذلك كان الدافع دينيا عابدا على الرغم من عدم توفر مستلزمات العيش الرغيد في قلب الصحراء ، اذ قال تعالى : ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ))⁽⁴⁾.

واستنادا لما تقدم فان المدن الدينية تنشأ في الغالب حول مركز او نواة صغيرة هي في الأغلب الأعم لمكان مقدس وقد تمثل لنا ببيت الله ، وان هذه النواة تكون البذرة الأولى لنشأة المدينة ، فعند ذلك تأتي التجارة والصناعة ، وهكذا تظهر الاسواق أولا فالمدينة ثم تنشأ أوجه النشاط الأخرى بمرور الوقت ، ثم تستقطب المدينة السكان شيئا فشيئا ، وبذلك تتركز كل الأنشطة المدنية في هذا المحتوى الديني الرئيسي ، ونتيجة كل ذلك فان المدينة دينية النشأة استطاعت أن تكون مراكزا تجارية وصناعية وثقافية بمرور الوقت ، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا اغفال الدافع الاقتصادي وذلك لأهميته في وجود تلك المدن وديمومتها(5) .

يعد هذا الدافع اساسا لنشأة المدينة المغربية لاسيما بالاقتصاد الزراعي حتى اصبح التوسع في الرقعة الجغرافية المزروعة يؤدي بالنتيجة الى الاعمال الحرفية وينشط الحركة التجارية(6) ، وكذلك فان الحاجة هي من ضمن الدافع الاقتصادي لظهور المدن ، فإن إنتفاء الحاجة لشيء ما سبب في اندثاره ، وخير مثال لنا نراه في عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، اذ ظهرت حادثة تؤكد ما ذهبنا اليه ، اذ إن الإمام علي عليه السلام أمر بحفر الأنهر وشق الترع وتطهيرها ، اذ كتب إلى عامله قرظة بن كعب الانصاري : ((أما بعد ، فإن رجلاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادفن ، وفيه لهم عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ، ثم أعمل وأصلح النهر ، فلعمري لان يعمرها أحب إلينا من أن يخرجوا ، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد ، والسلام))(7) .

واذا كنا قد تناولنا كل تلك الدوافع فلا بد لنا أن لا نغفل دافعا آخر مضافا لما تقدم من الدوافع ألا وهو الدافع الجغرافي والعسكري اذ لعب دور مهم في تحديد واختيار مواقع المدن وفي الدور الذي تقوم به ، ونوعية النشاطات التي تمارس بها ، وعلى هذا الأساس تتوزع المدن بصورة غير متكافئة من الناحية الجغرافية ، وبذلك لا بد من توفر بعض المستلزمات والأمر في نشأة المدن كالموقع وطيب الهواء وتوفر الماء والعشب فضلا عن مناعة الموقع(8) ، وان اختيار

الموقع يرتكز على أسس ثلاث فالأول هو الأساس الطبيعي المتمثل بوفرة المياه وطيب الهواء ، والاساس الثاني هو الأساس الاقتصادي كالاقترب من المراعي وامكن الاحتطاب والاسواق ، اما الأساس الثالث هو الامني والذي تمثل بالتحصينات الطبيعية كالجبل والجبيل على سبيل المثال(9) .

قصارى القول : ان دوافع نشأة المدن العربية الاسلامية تمثلت في دوافع عسكرية وسياسية وادارية ودينية واقتصادية فضلا عن الدافع الجغرافي والعسكري.

ثانيا : دوافع نشأة مدينة المهديّة

تعد مدينة المهديّة واحدة من المدن المهمة في أفريقية ، وكان اسمها جمة ، وتقع على ساحل البحر المتوسط ، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات ، والتي استحدثها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ، وسماها نسبة الى اسمه ، وبدأ بنائها سنة 300هـ ، وانتقل إليها سنة 308هـ فأصبحت عاصمة للدولة الفاطمية في المغرب(10) .

وان مدينة المهديّة شأنها شأن المدن العربية الاسلامية الأخرى من حيث لها دوافع للنشأة ايضا ، ومن هنا سنتناول دوافع نشأتها وهي كما يأتي :

أ / الدافع السياسي

بدأت تظهر الاهداف السياسية للدولة الفاطمية بعد وصول الخليفة عبيد الله المهدي الى المغرب وتسلمه زمام الأمور، وما تعلق بالحكم من الداعية أبو عبد الله الشيعي ، اذ سرعان ما فكر وسعى الخليفة عبيد الله المهدي في التخلص من هذا الداعية حفاظا على سلطانه ، وفعلا تحقق له ما كان يسعى اليه ، لكن هذا المسعى خلق له اعداء من احدى قبائل البربر وهم الكتاميين الذين ساندوا الدعوة الفاطمية منذ البداية على يد أبي عبد الله الشيعي(11) ، وبذلك فقد الخليفة عبيد الله المهدي سندا قويا له ممثلا بالكتاميين ، الا ان ذلك لم يضعف من عزيمته واعتمد على كبار الموظفين الاغالبية الذين دخلوا في طاعته ، وممن استمر ولائه وخلصه للفاطميين في توسيع سلطانه في المغرب ومحاولة القضاء على دويلة الادارسة وعاصمتها فاس ، وكذلك اخماد ما وقع من ثورات ضده(12) . وبعد ان استقرت الأوضاع للخليفة الفاطمي بعض الشيء حاول ايجاد حاضرة لدولته بعيدة عن اعدائه ، عندما حاول الابتعاد عن مدينة رقادة التي

كانت مقرا لأعدائه الأغالبية(13) ، وقد اكد ذلك ابن عذاري قائلا : ((خرج عبيد الله من مدينة رقادة الى تونس وقرطاجنة ونواحي البحر ، يرتاد موضعا يتخذ دار مملكته ...))(14) ، كما انه ابتعد عن مدينة القيروان ولم يجعلها عاصمة لدولته وذلك لأنها غير منيعة بالقدر الكافي، ومن السهل اقتحامها والاستيلاء عليها(15) .

وما لاشك فيه أن الخليفة عبيد الله المهدي ، ومن جاء من بعده من الفاطميين كان سعيهم حثيثا من أجل بسط نفوذهم على كامل ارض المغرب ، بل ويتعدى ذلك في رغبتهم في السيطرة على كافة العالم الاسلامي لاسيما وانهم يرون احقيتهم بإمامة العالم الاسلامي واحق من العباسيين في تلك الامامة(16) .

ان هذا المسعى السياسي والمخطط له لا يمكن ان يتحقق بوجود ثورات وتمردات داخلية قريبة من العاصمة رقادة ، ولا يمكن ان يتحقق سعي الفاطميين السياسي ايضا ان حصل تمرد عليهم في عاصمة لهم مثل القيروان ، ولذلك كان لابد للمهدي ان يبتعد عن المناوئين لحكمه والصراعات الداخلية⁽¹⁷⁾ بين مكونات المجتمع ويكون بمنأى عن تمردات الكتاميين والثورات الداخلية التي هدفها خلعه كما حصل من الداعية أبو عبد الله الشيعي الذي حاول خلع عبيد الله المهدي بالتعاون مع البربر من كتامة وقد نوهنا عن ذلك من قبل ، اذ اكد ذلك البربري بالقول : ((كان سبب بنيان عبيد الله المهدي للمهدية قيام ابي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه))⁽¹⁸⁾. خلاصة القول : ان الخليفة عبيد الله المهدي اراد الابتعاد عن اعدائه ببناء مدينة المهدية والتفرغ للهدف الاكبر وهو السيطرة على كافة العالم الاسلامي.

ب / الدافع الديني (المذهبي)

ان المنتبج للمراحل التي مرت بها الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ممثلة للمذهب الاسماعيلي يلاحظ حجم الصراع الذي رافق نشر ذلك المذهب في تلك البلاد حتى تأسيس الدولة الفاطمية ، وقد كان السبب المذهبي هو المحرك لذلك الصراع ، اذ ان المذهب المالكي كان هو السائد في تلك المناطق ما سبب ذلك التنارع الذي أخذ اشكالا مختلفة مع المذهب الاسماعيلي الذي سعى من اجل أن ينتشر في تلك البلاد⁽¹⁹⁾. ولكن لو تفحصنا بدقة ذلك الصراع بين المذهبيين لوجدناه أمرا طبيعيا بسبب الاختلافات خاصة من الناحية الفقهية⁽²⁰⁾.

وما تجدر الإشارة اليه ان مدينة القيروان كانت مالكية المذهب وعدم تقبل اهلها للمذهب الاسماعيلي⁽²¹⁾، لذلك فهي لا تصلح أن تكون منطلقا لنشر الدعوة الفاطمية ممثلة بالمذهب الاسماعيلي باي حال من الاحوال ، كما ان الخوارج وانتشارهم في تلك المناطق واختلافهم مع المذهب الاسماعيلي⁽²²⁾ زاد الامور تعقيدا. ومن كل ما تقدم نلاحظ وبكل وضوح لزما على الخليفة عبيد الله المهدي أن يجد منطلقا آمنا لنشر دعوته والمحافظة على مكتسبات دولته وبناء مدينة تكون حكرًا للمذهب الاسماعيلي لا ينافسه فيها أي مذهب آخر ، وهذا ما حصل عند بنائه لمدينة المهدية بدافع ديني مذهبي هذه المرة . خاتمة القول : ان وجود انصار المذهب المالكي ووجود الخوارج والصراع بين انصار المذهبيين المالكي والاسماعيلي دفع عبيد الله المهدي الى الشروع ببناء مدينة المهدية .

ج / الدافع الاقتصادي

ان المغرب الكبير في عصوره المختلفة والإسلامية منها على وجه الخصوص نجده قد شهد نهضة عمرانية كبيرة كان ركيزتها الازدهار الاقتصادي وذلك بسبب تنامي الثروات، وقد ظهر ذلك بوضوح خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين⁽²³⁾ ، كما ان نشوء المدن العربية الإسلامية المزدهرة في بلاد المغرب جعلنا نؤكد على وجود علاقة قوية بين الازدهار الاقتصادي والنمو العمراني ، اذ أن تلك العلاقة كانت ولا زالت علاقة طردية بين الحالة الاقتصادية والتطور العمراني للدول اذ كلما نما الاقتصاد تطور العمران والعكس صحيح.

لقد شخص الخلفاء الفاطميون منذ بداية وصولهم إلى حكم البلاد أهمية النشاط التجاري من خلال الموقع التجاري المهم والتميز لبلاد المغرب ، فسعوا للسيطرة على الطرق التجارية الداخلية والخارجية ، واتبعوا سياسة تجارية يستطيعون من خلالها احتكار الثروة ، وتمركزها بأيديهم ، وقد دفعوا لأجل ذلك الهدف ثمنًا كبيرًا ، وذلك عندما خاضوا لهذا العمل معارك مع قبائل البربر ومن يقف ورائهم من أمويي الأندلس من أجل السيطرة على الطرق التجارية ولاسيما طريق الذهب القادم من بلاد السودان⁽²⁴⁾ ، وأمام هذا التشخيص الدقيق للأهمية التجارية لبلاد المغرب من قبل الفاطميين ، واتباعهم سياسة مالية أثقلت كاهل سكان بلاد المغرب ، وأدت إلى نشوب ثورات في معظم المناطق بلاد المغرب ، إلا أن هذه السياسة الاقتصادية آتت أكلها عندما زادت من الأموال بأيديهم، فكان لابد لعبيد الله المهدي من مقر جديد لدولته ممثلاً بمدينة المهدية ، حتى يتمكن من خلاله المحافظة على تلك الثروة الكبيرة ، ويعمل على الاستمرار بسياسته الاقتصادية⁽²⁵⁾ ، وذلك لأن تلك الأموال باتت في خطر محدق بها وهي قريبة من الأعداء الذين يحيطون بها ، فالخليفة عبيد الله المهدي ومن خلال مدينته الجديدة المهدية ، والأموال التي

تجمعت لديه جعلت منه مسيطراً على أوضاعه الاقتصادية ، حتى كانت الغنائم مصدراً مهماً من مصادر بيت المال في مدينة المهدية الفاطمية⁽²⁶⁾.

وهنا لابد من الإشارة الى ان مدينة المهدية باتت مركزاً تجارياً مهماً حتى انها عدت من أشهر مدن افريقية اذ زادت تجارتها وازدهرت⁽²⁶⁾، حتى بات مرفأ مدينة المهدية مهماً وسوقاً رائجة للسلع والبضائع التي تحملها السفن من الاسكندرية وبلاد الشام وصقلية فضلاً عن الأندلس⁽²⁷⁾، حتى أصبحت تصدر المنتجات الزراعية الفائضة عن حاجتها الى المناطق القريبة والبعيدة⁽²⁸⁾. الخلاصة : ان الخليفة عبيد الله المهدي اراد الحفاظ على الثروات التي حصل عليها التي باتت في خطر ، لذلك بنى مدينته الجديدة ، والتي أصبحت مركزاً تجارياً مهماً.

د / الدافع الجغرافي والعسكري

ما لاشك فيه ان الكثير من المختصين والذين اهتموا بالمدن ونشأتها، ولاسيما الاقدمين منهم ، ركنوا إلى أهمية التحصين والأمان لنشأة أية مدينة ، حتى جعلوه شرطاً أساسياً من شروط نشأة المدن⁽²⁹⁾ ، وقد اشار الى ذلك وبكل وضوح الخليفة عبيد الله المهدي بعد اتمام بناء مدينة المهديّة والاستيطان فيها اذ قال : ((اليوم آمنت على الفاطميات))⁽³⁰⁾ ، وهو بذلك يؤكد على الامان الذي لا يأتي الا من خلال الموقع الجغرافي المحصن اذ يعد الامان اساس لبناء المدن كما ذكرنا ذلك من قبل.

ان الخليفة عبيد الله المهدي شعر بخطورة موقفه وهو محاط بأعدائه وهو في مدينة القيروان ، لذلك صمم على الابتعاد عن الكتاميين وعن انصار المذهب المالكي ، وهذا الامر لا يمكن ان يتم الا ببناء عاصمة جديدة لحكمه على ان يتوفر فيها الامان وتكون حصناً منيعاً يحميه في الملمات عندما يتعرض لأي عدوان من أي جهة ولاسيما عندما يتغير هو رعاياه ((والسبب في بناء المهديّة عاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدي بالحاجة إلى حصن يحمي فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه...))⁽³¹⁾.

ونحن بصدد الدافع الجغرافي والعسكري يظهر لنا ما يميز موقع مدينة المهديّة من الناحية الجغرافية والعسكرية ، وان أول ما يميزها هو الموقع الساحلي او الوجهة البحرية⁽³²⁾ ، التي ميزتها عن باقي المدن العربية الاسلامية مما زادها حصانة وامناً. وثاني ما يميز موقع مدينة المهديّة وزاد من حصانتها هو اتصالها باليابسة ودخولها في البحر اذ شكلت شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات⁽³³⁾.

ان مناعة حصون مدينة المهديّة وقدرة تلك الحصون على حماية المدينة جعلها تقف بوجه أي عدوان ممكن أن يهددها ، وهذا ما حصل عندما صمدت هذه المدينة امام الثورات التي حصلت وقد هددت كيان الدولة الفاطمية التي كان منها ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الاباضي الذي رفض الدعوة الفاطمية⁽³⁴⁾ ، وان هذه الثورة كادت تنهي الوجود الفاطمي لولا انها مدينة منيعة بأسوارها وموقعها.

خلاصة القول : ان مناعة حصون مدينة المهديّة ، والموقع الجغرافي المهم للمدينة على اعتبار انها شبه جزيرة ، كل ذلك كان من اعمال الخليفة عبيد الله المهدي حتى يبتعد عن اعدائه.

ه/ الدافع الشخصي والاجتماعي

ان الدافع الشخصي الذي تم تشخيصه هنا يتركز حول شخصية الخليفة عبيد الله المهدي تلك الشخصية التي كان لها دافع ذاتي من بناء مدينة المهديّة ، وليس أدل على هذا الدافع سوى ما كان يقوم به الخليفة عبيد الله المهدي اثناء بناء المدينة والاهتمام المفرط بها ، اذ كان يشرف على البناء بنفسه ، ويأمر الصناع بما يريد للبناء وما يصنعون⁽³⁵⁾ ، وان ما يدعم الدافع الشخصي هذا لبناء مدينة المهديّة هو تسميتها باسم الخليفة نفسه أي ان اسمها اشتق من اسم المهدي اذ سلمنا لما ذهب اليه ابن عذارى⁽³⁶⁾ ، والتجاني⁽³⁷⁾ حول التسمية ، والهدف من ذلك هو تخليد اسمه ، وهذا ما تم ذكره فيما سبق حول طبيعة الانسان كونه يحب التفاخر والتباهي .

ويمكن ان نضيف لما تقدم ما يظهر بطبيعة الانسان من حب الدنيا والتفاخر والتباهي بكل ما يصنع او يقوم بإنشائه ، ومهما يكن ذلك الذي يفخر به او يتباهى به صغيراً كان ام كبيراً ، فكان من صور ذلك التباهي بناء القصور والمدن والحصون بما يبهّر العقول ، ويسحر عيون الناظرين ، والتي لم يبق منها الا الاطلال ولتكون لنا عبرة قال تعالى : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى))⁽³⁸⁾.

اما ما تعلق بالدافع الاجتماعي فان الخليفة عبيد الله المهدي جعل من مدينة المهديّة حصناً أميناً لأسرته الحاكمة⁽³⁹⁾ ، واتباعه المخلصين ، فضلاً عن قواده المقربين ، وقام ببناء مدينة صغيرة قرب مدينة المهديّة بمسافة قصيرة ، واطلق عليها زويلة⁽⁴⁰⁾ وخصصها للعامة⁽⁴¹⁾.

يبدو ان عملية الفصل بين اسرته وخاصته وبين العامة له مدلولان الاول هو رغبته في الأمان لمدينته وابعاد الغرباء عنها خشية حصول أي تمرد ، والمدلول الثاني هو حرصه الكبير على اسرته ، وتغليب الجانب الاجتماعي على سواه.

قصارى القول : ان اهتمام الخليفة المفرط ببناء المدينة واشرافه عليها بنفسه ، فضلاً عن اشتقاق اسمها من اسمه كان دافعا شخصيا ، كما ان توطین اهله وخاصته بالمدينة فقط دون العامة يغد دافعا اجتماعيا.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .
أما بعد :

فهذه خاتمة البحث ، وقد تضمنت جملة من النتائج المنبثقة من دراسة موضوع :

(دوافع نشأة المدن العربية الإسلامية مدينة المهديّة الفاطمية في افريقية إنموذجاً 300 – 308 هـ)
وكما يأتي :

- (1) اشتق اسم مدينة المهديّة من اسم مؤسسها والذي هو عبيد الله المهدي أو ربما من اسم الامام المهدي المنتظر ، والذي بدأ بناءها سنة 300 هـ واستوطنها سنة 308 هـ .
- (2) ان مدينة المهديّة شأنها شأن باقي المدن العربية الإسلامية اذ تعددت دوافع بنائها من دوافع سياسية ، ودينية ، واقتصادية ، وجغرافية وعسكرية .
- (3) تعد مدينة المهديّة من المدن العربية الإسلامية الاولى التي اتخذت موقعا بحريا ما جعلها تختلف عن باقي المدن العربية الإسلامية بهذا الموقع المتميز كونها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات.
- (4) عد الدافع السياسي دافعا مهما لبناء المدينة المهديّة وقد تمثل في تغيير ولاء الكتاميين عن عبيد الله المهدي ، وان اهمية هذا الدافع لا تقلل من شأن الدوافع الأخرى.
- (5) ان مناعة حصن مدينة المهديّة جعلها تصمد امام الثورة التي هدّدت الكيان الفاطمي التي قادها ابو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الاباضي وهذا ما يؤكد الدافع العسكري.
- (6) ان وجود دافع شخصي واجتماعي لبناء مدينة المهديّة قد تمثل في اسم المدينة الذي اشتق من اسم المهدي ، فضلا عن الاهتمام المفرط ببناء المدينة والاشراف عليها وتوجيه الصناع ، كما جعل هذه المدينة حكرا لعائلة الخليفة عبيد الله المهدي وخاصته دون العامة الذين اسكنهم في مدينة زويلة.

هوامش وتعليقات البحث

- (1) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1975م ، 3 / 465 ؛ مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأت وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982م ، ص 54 .
- (2) عاصمة دولة الادارسة وسميت هذه مدينة فاس بهذا الاسم لان ادريس حفر اساس المدينة بفأس من ذهب ، او بسبب وجود فأس اثرية كبيرة عند حفر اساس المدينة ، او بسبب وجود مدينة اثرية قديمة في نفس المكان واسمها ساف . انظر : ابن أبي زرع ، علي الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المغرب ، 1999م ، ص 38 .
- (3) ادريس الشنوفي : المدينة والسلطة بالمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2013م ، ص 84 .
- (4) سورة ابراهيم : 37 .
- (5) محمود اسماعيل عبد الرازق : سوسيولوجيا الفكر الاسلامي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991 ، 76/1 .
- (6) ادريس الشنوفي ، المرجع السابق ، ص 96 .
- (7) اليقوي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، لا . ت ، 2 / 203 .
- (8) ابن خلدون ، عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر ، بيروت ، 1981م ، 2 / 620 .
- (9) ادريس الشنوفي ، المرجع السابق ، ص 90 – 91 .
- (10) ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط 2 ، بيروت ، 1980م ، 1 / 81 ؛ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الاقطار ، مكتبة لبنان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، بيروت ، 1984م ، ص 561 ؛ المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي : اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ط2 ، القاهرة ، 1996م ، 1 / 70 . ربما تم تسميتها بهذا الاسم نسبة الى الامام المهدي المنتظر.
- (11) علي حسن الخربوطلي : أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، 1972م ، ص 55 .
- (12) ابن عذاري : المصدر السابق ، 1 / 183 .
- (13) سعد زغول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1979م ، 3 / 92 .
- (14) البيان المغرب ، 1 / 71 .

- (15) منى حسن محمود : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والاندلس ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 2003م ، ص 104 .
(16) المرجع نفسه ، ص 105 .
(17) كما حصل في الصراع بين اهل القيروان والكتاميين سنة 299هـ . انظر : ابن حيون ، النعمان بن محمد : افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشرابي ، الشركة التونسية ، تونس ، د.ت ، ص 320 .
(18) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت ، ص 30 .
(19) عبد العزيز المجذوب : الصراع المذهبي بافريقية ، دار سحنون ، تونس ، 2008م ، ص 187 .
(20) احمد امين : فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969م ، ص 266 .
(21) سعد زغول : المرجع السابق ، 3 / 93 .
(22) أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية تفسير جديد ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2007م ، ص 123 .
(23) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، 1 / 76 .
(24) فتحي زغروت : العلاقات بين الأمويين والفاطميين ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، 2006 ، ص 170 .
(25) منى حسن محمود : المرجع السابق ، ص 114 .
(26) عبد المنعم محمد صادق : في تاريخ المغرب الاسلامي دراسة للحياة السياسية والاقتصادية بأفريقية 261 – 365هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2014م ، ص 88 – 89 .
(27) ابن حوقل النصيبي ، أبي القاسم : صورة الارض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م ، ص 73 .
(28) البكري : المصدر السابق ، ص 31 .
(29) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .
(30) ابن خلدون : المصدر السابق ، 2 / 620 .
(31) الحموي ، ياقوت أبو عبد شهاب الدين الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، تصحيح محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906م ، 5 / 231 ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ، 6 / 151 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، 4 / 38 .
(32) ابن الخطيب ، لسان الدين : أعمال الأعلام – تاريخ المغرب العربي ، تحقيق : أحمد مختار العبادي و محمد و ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964م ، ص 3 / 46 . وللتعرف على موقع مدينة المهدية الساحلي انظر ملحق (1) .
(33) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، 1 / 489 .
(34) البكري : المصدر السابق ، ص 30 ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص 561 .
(35) محمود اسماعيل عبد الرازق : الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010م ، ص 243 .
(36) التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد : رحلة التجاني ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا _ طرابلس ، 1980م ، ص 321 .
(37) البيان المغرب ، 1 / 128 .
(38) المصدر السابق ، ص 320 .
(39) النازعات : 26 .
(40) نجح الخليفة عبيد الله المهدي في جعل مدينته آمنه اذ اكد على ذلك حين قال : ((اليوم آمنت على الفاطميات)) انظر : الحموي : المصدر السابق ، 5 / 231 .
(41) الحموي : المصدر السابق ، 5 / 231 ؛ التجاني : المصدر السابق ، ص 324 . ان الخليفة عبيد الله المهدي جعل اموال العامة ودكاكينهم في مدينة المهدية اذ يزاولون اعمالهم فيها نهرا ، في حين جعل مساكنهم في زويلة يأوون اليها ليلا . انظر : الحموي : المصدر السابق ، 3 / 60 .
(42) الحموي : المصدر السابق ، 3 / 60 .

References

اولا / المصادر

- ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت 630هـ) :
(1) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1975م .

- ابن أبي زرع ، علي الفاسي (كان حيا قبل عام 726هـ) :
(2) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المغرب ، 1999م .
- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ) :
(3) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت .
التجاني ، أبو محمد عبد الله (توفي بعد 717هـ) :
- التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد (كان حيا قبل عام 717هـ) :
(4) رحلة التجاني ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا _ طرابلس ، 1980م .
- الحموي ، ياقوت أبو عبد شهاب الدين الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ) :
(5) معجم البلدان ، تصحيح محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906م .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت حوالي 710هـ) :
(6) الروض المعطار في خبر الاقطار ، مكتبة لبنان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، بيروت ، 1984م .
- ابن حوقل النصيبي ، أبي القاسم (ت 367هـ) :
(7) صورة الارض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م .
- ابن حيون ، النعمان بن محمد (ت 363هـ) :
(8) افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية ، تونس ، د . ت .
- ابن الخطيب ، لسان الدين (ت 776هـ) :
(9) أعمال الأعلام – تاريخ المغرب العربي ، تحقيق : أحمد مختار العبادي و محمد وإبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964م .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت 808هـ) :
(10) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر ، بيروت ، 1981م .
- ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت 695هـ) :
(11) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط2 ، بيروت ، 1980م .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ) :
(12) آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ) :
(13) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ط2 ، القاهرة ، 1996م .
- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 292هـ) :
(14) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، لا . ت .

ثانيا / المراجع

- احمد امين :
(15) فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969م .
- ادريس الشنوفي :
(16) المدينة والسلطة بالمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2013م .
- أيمن فؤاد السيد :
(17) الدولة الفاطمية تفسير جديد ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2007م .
- سعد ز غول عبد الحميد :
(18) تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1979م .
- عبد العزيز المجذوب :
(19) الصراع المذهبي بافريقية ، دار سحنون ، تونس ، 2008م .
- علي حسن الخربوطلي :
(20) أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، 1972م .

- فتحي زغروت :
(21) العلاقات بين الأمويين والفاطميين ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، 2006م .
- محمود اسماعيل عبد الرازق :
(22) سوسيولوجيا الفكر الاسلامي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991م .
(23) الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010م .
- مصطفى عباس الموسوي :
(24) العوامل التاريخية لنشأت وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982م .
- منى حسن محمود :
(25) دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والاندلس ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 2003م .
- عبد المنعم محمد صادق :
(26) في تاريخ المغرب الاسلامي دراسة للحياة السياسية والاقتصادية بأفريقية 261 – 365هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2014م .